٢

هل يمكن كسب الحرب ضد الإرهاب

مقابلتان منفصلتان مع هارتفورد كورانت فى عشرين سبتمبر ٢٠٠١،

وديفيد بارسيميان فى ٢١ سبتمبر ٢٠٠١

سؤال: هل حرب الأمة ضد ما يسمى بالإرهاب يمكن الفوز فيها؟ إذا كانت الإجابة نعم، فكيف؟ وإذا كانت لا، فما الذى يجب أن تفعله إدارة بوش لمنع هجمات مثل تلك التى دهمت نيو يورك وواشنطون؟

تشومسكى: إذا ما أردنا النظر جديّا فى هذا السؤال، فيجب أن نقر بأن الولايات المتحدة ينظر إليها، فى معظم أنحاء العالم، بوصفها دولة إرهابية من الطراز الأول، ولهذا أسبابه الوجيهة. ربما يتوجب علينا أن نتذكر، على سبيل المثال، أنه فى ١٩٨٦ أدانت المحكمة الدولية الولايات المتحدة بسبب "الاستخدام غير الشرعى للقوة" . . . إرهاب دولى. ثم استخدمت الولايات المتحدة حق النقض (الڤيتو) ضد قرار من مجلس الأمن يطلب من جميع الدول، ويعنى الولايات المتحدة الالتزام بالقانون الدولى. وهذا مثال واحد من العديد من الأمثلة. ولكن إذا ما قصرنا الكلام على السؤال الضيق ـ إرهاب الآخرين الموجه ضدنا ـ فنحن نعرف تمام المعرفة كيف يجب تناول المشكلة، إذا ما كنا نبغى التقليل من هذا التهديد، بدلاً من تصعيده. فحين انطلقت قنابل الجيش الجمهورى الأيرلندى فى لندن، لم تصدر دعوات بإلقاء القنابل على غرب بلفاست، أو بوستون [فى أمريكا]، وهى مصدر الكثير من الدعم المالى للجيش الجمهورى السرى، بل اتخذت خطوات للقبض على الجناة، وبذلت الجهود للتعامل مع ما يكمن وراء اللجوء للإرهاب. وحين فجر مبنى اتحادى فيدرالى فى مدينة أوكلاهوما، صدرت دعوات لإلقاء القنابل على الشرق الأوسط، وكان من الممكن

أن يحدث ذلك إذا اتضح أن المصدر هناك، وحين اكتشف أنه داخلى، وله صلات بميليشيات أقصى اليمين المتطرف، لم تكن هناك دعوات لمحو مونتانا، وأيداهو، بل تم البحث عن مرتكب هذا العمل، وتم العثور عليه، وقدم للمحاكمة، وحكم عليه، وكانت هناك جهود لفهم الشكاوى أو المظالم التى تكمن وراء مثل هذه الجرائم، والتعامل مع المشكلات. فكل جريمة تقريبًا، سواء كانت سرقة فى الشوارع، أو كانت أعمالاً بشعة، لها أسبابها، وكثيرًا ما نجد أن بعض هذه الأسباب خطيرة، ويجب التعامل معها. وهناك سبل سليمة وقانونية يجب السير بناء عليها فى حالة ارتكاب الجرائم، مهما كان نطاق هذه الجرائم، كما توجد سوابق. والمثال الذى ذكرته توًا يعد مثالاً واضحًا، وهو مثال يجب ألا يثور حوله الجدل؛ بسبب رد فعل أعلى السلطات الدولية. فى الثمانينيات من القرن العشرين، خضعت نيكاراجوا لهجوم عنيف من جانب الولايات المتحدة، ومات عشرات الألوف من الناس، وتم تدمير البلاد تدميرًا كبيرًا، حتى أنها قد لا تعود أبدًا كما كانت، وصحب الهجوم الإرهابى الدولى حرب اقتصادية مدمرة، لا تكاد تتحملها دولة صغيرة تعزلها قوة عظمى قاسية متعطشة للانتقام، كما شرح بالتفصيل أكبر مؤرخى نيكاراجوا «توماس ووكر»، على سبيل المثال. إن آثار ذلك على البلاد أشد قسوة حتى من مآسى نيويورك التى حدثت فى ذلك اليوم، ولم تكن استجابتها هى إطلاق القنابل على واشنطون، هم ذهبوا إلى المحكمة الدولية، التى حكمت لصالحهم، وأمرت الولايات المتحدة بالإحجام عن ذلك، ودفع تعويضات ضخمة، فرفضت الولايات المتحدة هذا الحكم بازدراء، وردت بتصعيد مباشر للهجوم، ثم ذهبت نيكاراجوا إلى مجلس الأمن، الذى نظر فى إصدار قرار يطالب الدول بمراعاة القانون الدولى، فاستخدمت الولايات المتحدة وحدها حق النقض. فذهبوا إلى الجمعية العامة، حيث حصلوا على قرار مشابه، عارضته الولايات المتحدة وإسرائيل لسنتين متتاليتين، انضمت إليهما، فى إحدى المرتين، السلڤادور. هذه هى الطريقة التى يجب على أى دولة أن تتبعها، فلو توافرت لنيكاراجوا ما يكفى من القوة، لأمكنها إقامة محكمة جنائية أخرى. وهذه هى الإجراءات التى كان فى استطاعة الولايات المتحدة أن تتبعها، ولن يعرقلها أحد.

وهذا هو ما يطلبه منهم الشعب فى كل أنحاء المنطقة، بما فى ذلك حلفاؤهم. وعليك أن تتذكر، أن حكومات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، مثل حكومة الجزائر الإرهابية، وهى إحدى أشدهم شرّا، سوف يسعدها أن تنضم إلى الولايات المتحدة فى التصدى للشبكات الإرهابية التى تهاجمها. فهى أول المستهدفين. ولكنها تطلب بعض الأدلة، وهى تريد أن تفعل ذلك داخل إطار ولو بأقل قدر من الالتزام بالقانون الدولى. أما الموقف المصرى فهو موقف معقد، فمصر جزء من النظام الرئيسى الذى نظم القوى الإسلامية المتطرفة الذى كانت شبكة ابن لادن جزءاً منه، وكانت أول ضحاياه حين اغتيل السادات، كما كانت من ضحاياه الرئيسيين منذ ذلك الوقت، وتود القضاء على هذه التنظيمات، ولكن، كما يقولون، بعد العثور على بعض الأدلة التى تشير إلى المتورطين، وفى إطار ميثاق الأمم المتحدة، وتحت مظلة مجلس الأمن. وهذا هو الطريق الذى يتبعه المرء إذا كانت النية هى التقليل من احتمال وقوع المزيد من هذه الأعمال البشعة. وهناك طريق آخر هو رد الفعل على العنف البالغ، ويتوقع منه التصعيد فى دائرة العنف؛ مما يؤدى إلى المزيد من الأعمال البشعة، مثل ذلك الطريق الذى يحث على الدعوة للانتقام. فديناميكية الحركة فى ذلك شىء مألوف.

سؤال: ما الجانب أو الجوانب التى لم تلق تغطية صحفية بواسطة الصحف المهمة؟ وما السبب فى أن هذه الجوانب يجب أن تلقى المزيد من الانتباه؟

تشومسكى: هناك العديد من الأسئلة الجوهرية.

أولا: ما طرق الفعل المفتوحة أمامنا، وما عواقبها المحتملة؟ لم تكن هناك، تقريبًا، أى مناقشة لخيار الالتزام بالقانون الدولى، كما يفعل الآخرون، كنيكارجوا، على سبيل المثال، التى ذكرتها تواً والتى فشلت بالطبع، ولكن لن يقف أحد فى وجه مثل هذه التحركات من جانب الولايات المتحدة. أو كما فعلت إنجلترا فى حالة الجيش الجمهورى السرى، أو كما فعلت الولايات المتحدة حين وجدت أن إلقاء القنابل على مدينة أوكلاهوما كان عملاً داخليّا أصلاً. وهناك من الحالات ما لا حصر له، وبدلا من ذلك، هناك ـ حتى الآن ـ دق للطبول التى تدعو لرد الفعل العنيف، ونادراً ما تذكر أن هذا لن ينتج عنه سوى خسائر فادحة لضحايا أبرياء

تمامًا، كثير منهم أفغان من ضحايا الطالبان، وإن هذا سوف يكون استجابة لأحر دعوات ابن لادن، وشبكته.

والسؤال الثانى هو "لماذا" ونادرا ما يثار هذا السؤال على نحو جاد. إن رفض مواجهة هذا السؤال يعنى اختيار احتمال زيادة الجرائم من هذا النوع زيادة كبيرة. كانت هناك بعض الاستثناءات. فكما ذكرت سابقًا، لقد قامت صحيفة الوول ستريت چورنال، ولها الفضل فى ذلك، باستطلاع آراء "المسلمين الأثرياء" المؤيدين لأمريكا، ولكنهم شديدو الانتقاد لسياسات الولايات المتحدة فى المنطقة، لأسباب معروفة لأى شخص يعير أى قدر من الانتباه. إن المشاعر فى الشارع متشابهة، وإن كانت أشد مرارة وغضبًا. أما شبكة ابن لادن نفسها، فتقع فى فئة مختلفة، بل إن أعمالها، على مدى عشرين سنة تسببت فى الضرر الشديد للفقراء والمقهورين فى المنطقة، والذين لا يهمون الشبكات الإرهابية ـ وإنما هم ينهلون من مخزون من الغضب والخوف واليأس، ولهذا السبب هم يدعون الله من أجل رد فعل عنيف من جانب الولايات المتحدة، فهذا سوف يعبئ آخرين من أجل قضيتهم الشنيعة ـ مثل هذه الموضوعات يجب أن تحتل الصفحات الأولى، على الأقل إذا ما كنا نرغب فى التقليل من دائرة العنف، بدلاً من تصعيدها.

* * *